(رسالة)

في مقارنة بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية

(تأليف)

العالم الشهير والاديب الخطير سعادتلو عبد الله فكري بك
وكيل ديوان عموم المكاتب الاهلية المصرية

أدام الله النفع بجلائل آثاره العلمية
والعملية آمين

آمين

obeikandl.com

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يقول الفقير عبد الله فكرى حامدا لله على إفضاله مصليا على نبيه محمد وآله قد كنت فيما سلف كتبت نبذة فى بعض مباحث الهيئة على الطريقة المتعارفة الآن وجعلت مدار الكلام فيها على البحث عن موافقة هذه الطريقة للكتاب والسنة كما يراه بعض من ذهب ذلك المذهب وخاطبت بها محرر الصحيفة الموسومة بوادى النيل وجعلت بعض القول فيها بصورة مناظرة بين فقيه وآخر من أصحاب الهيئة تقريبا للافهام وتفصيلا للكلام فطبعت فى الصحيفة المذكورة مفرقة ثم تكرر طلبها من الاحبة فجمعتها فى هذه الاوراق ضاما اليها بعض ما اقتضاه المقام وبالله التوفيق

قلت مخاطبا لمحرر الصحيفة المذكورة

قد كنت وعدت فيما مر تنه سابقا أنى اكاتب حضرتكم بعد بما تيسر على حسب الامكان ومساعدة الزمان والآن أريد أن أخبركم بمحاورة جرت بينى وبين بعض المتورعين من الناس فيما يتعلق بصحيفة وادى النيل وكتاب الجغرافية المطبوع فى وريقاتها وذلك انى رأيته ينكر على حضرتكم بعض المباحث المندرجة فى ذلك الكتاب كتكون الارض كرة والقبة السماوية متخيلة وما

قيل

قيل فى كيفية الكسوف والخسوف ونحو ذلك بعد الاعتراف
منه بان الكتاب المذكور كتاب مناسب فى موضوع مهم تدعو اليه
الحاجة لمعرفة مواقع البلاد وحالها واقسام الارض وأحوالها
فان هذا لا تنكر مزيته وفائدته فى السياحة والتجارة وأمور
التمدن والحضارة فقلت له قد علمت أن منشئ وادى النيل ليس
مؤلف الكتاب المذكور وانما هو مترجم له والمترجم ناقل
ليس عليه عهدة ما ينقله وانما يلزمه صحة النقل وتوفية حق
الاداء على صحته ولا يلزمه ما يترتب على الاصل المنقول عنه
من نقد ومؤاخذة بعد عزوه لاصله ونسبته الى قائله فلو
سلم أن جميع تلك المباحث مما ينكر فما عليه شئ من ذلك فقد
قالوا ان ناقل الكفر ليس بكافر وتقريب ذلك انك الآن نقلت
هذه المباحث عن الكتاب المذكور ولا ترى عليك بأسا فى حكايتها
حيث كنت ناقلا وكذلك صاحب وادى النيل قد نقلها بالترجمة
وخرج عن عهدتها بعزو الكتاب لمؤلفه (فقال) هذا صحيح مسلم
الا انه لو نبه فى تلك المباحث على ما يخالف المعتقد واعتنى بابطاله
ورده أو طواه وحذفه بالكلية لكان خيرا (فقلت) قد اتفقنا
على انه مترجم وناقل وليس شئ مما ذكرت فى وظائف
الترجمة والنقل على انه لو كان هذا الكتاب من تأليفه لما وسعه
الا ايراد الفن الذى هو بصدده على حالته وعلى حسب اصطلاح
أهله ومذهبهم فى فنهم ليطالع طالب تحصيله عليه كما هو عند أهله
ويكون عارفا باصولهم وقاعدتهم ورأيهم على طريقتهم فان كل

طالب فن يحتاج فيه الى ذلك فحذف بعض أصولهم اخلال بالغرض المقصود * والتعرض فى كل مبحث من الفن للبحث مع أهله والانتقاد عليهم وبيان مايوافق الاعتقاد ومايخالفه والاشتغال باثبات مايوافق وابطال مايخالف يؤدى الى تشتيت الكلام وتشعب المقام والخروج من فن الجغرافية الى علم الكلام ولذلك ترى كثيرا من قدماء العلماء الاعلام هداة الانام حين ألفوا فى الهيئة بل فى الفلسفة مشوا مع أهلها على حسب اصطلاحهم من غير اشتغال بالرد والانتقاد والاستدلال على ابطال مايخالف الاعتقادات كلامنهم على ان ذلك الرد والابطال له محلات أخر مخصوصة به فى مباحث علم الكلام ليسوا بصددها وانما هم بصدد بيان الفن فى ذاته واقتطاف مايستطاب من ثمراته فنشى صحيفة وادى النمل له بهؤلاء القوم أسوة حسنة على أن فى التأليف من سعة المجال والتمكن من الحذف والاختصار والزيادة وسائر وجوه التصرف فى القول ماليس فى الترجمة ثم لايذهب عليك ان مثل هذه الصحف الخبرية واوراق الحوادث الدورية ليس من شأنها أن تختص بأمة معلومة من الناس على رأى واحد من الاعتقاد فى بقعة مخصوصة من الارض حتى يتيسر لصاحبها أن يتقيد بعوائدهم ويبنى على قواعدهم ويراعى مايكون موافقا لعقائدهم بل الشأن فيها أن تنتقل من بلد الى بلد وتتداول من يد الى يد بين أقوام مختلفى الطباع متباينى الاوضاع مختلفين فى العقائد غير متفقين فى العوائد فالاتيان بما يوافق

جميع الآراء ويطابق كافة الاهواء توفيق بين الاضداد
وأصعب من خرط القتاد وانما هي كالمطر ينزل على الارض
الطيبة والخبيثة ثم تنبت كل على حسب طينتها وكالمغني يقول
ما ينطلق به لسانه وينبعث اليه خاطره ثم كل سامع يذهب فيه
مذهبه ويأخذه على حسب ما عنده ويتوجه منه الى ما قصده
ويوجهه لما أراده على وفق غرضه وهواه وعلى حسب نظره
ومرماه وكالبضاعة المعرضة للبيع المعروضة على انظار العامة
يأخذ منها كل واحد ما يعجبه ويستحسنه نظره فربما كان الشيء
الواحد مستحسنا عند واحد من الناس لوجه مخصوص مذموما
عند آخر لا يذمه الا لذلك الوجه الذي استحسنه به الاول
والعاقل الكيس يستفيد من كل كتاب يراه ما يرضاه ويدع
ما وراءه مما يجده خلاف ما يعتقده ولا يدع كثيرا ينفعه لقليل
لا يضره هذا تفسير الكشاف فيه واضح من الاعتزال أفيترك
اللبيب المحصل من أهل السنة ما فيه من المزايا الجمة والفوائد
المهمة والاسرار التأويلية لما معها من تلك المواضع الاعتزالية
لا بل يستفيد محاسن ما فيه ويترك ما وراء ذلك مما لا يرتضيه
ولذلك عكف عليه المحصلون واعتنى بخدمته العلماء العاملون
بل عد في مناقب بعض علماء السنة السنية أنه عكف عليه
أحقابا مديدة من الدهر وصرف عليه مدة طويلة من العمر
اغتناما لما فيه من العلم النافع ولم يتركوه من أجل تلك المواضع

ومصداق ذلك ما ورد من ان الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها فهو أولى بها وما قيل

ان العلوم كثمار على شجر * فاجن الثمار وخل العود للنار

مثاله رجل وجد في طريقه عقدا نفيسا فيه جوهر عظيم وفي اثنائه شئ من الخرز فان كان فيه مسكة من العقل وذرة من التمييز أخذ العقد فانتفع بما فيه من الجوهر وما عليه مما في اثنائه من الخرز وان كان أحمق سئ النظر فاسد الرأي تركه لما في اثنائه من ذلك الخرز ومن هذا القبيل ما نحن بصدده هذا كله على تسليم ان كل تلك المباحث مما ينكر مع أن كون الارض كرة وما قيل في كيفية الخسوف والكسوف ونحو ذلك قد نبه أكابر العلماء المعتمدين المقتدى بهم في الدين على انه لا يصادم شيأ من أصول الشريعة الشريفة فمن ذلك قول الامام فخر الدين الرازي في تفسير قوله تعالى وهو الذي مد الارض الآية ونصه قال قوم كانت الارض مدورة فدحاها ودحاها من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا وقال آخرون كانت مجتمعة عند البيت المقدس فقال لها اذهبي كذا وكذا اعلم أن هذا القول انما يتم اذا قلنا الارض مسطحة لا كرة وأصحاب هذا القول احتجوا عليه بقوله والارض بعد ذلك دحاها وهذا القول مشكل من وجهين الاول انه ثبت بالدلائل أن الارض كرة فكيف يمكن المكابرة فيه فان قالوا وقوله مد الارض ينافي كونها كرة فكيف يمكن مدها قلنا لا نسلم لان الارض جسم عظيم والكرة

اذا

اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح
والتفاوت الحاصل بينه وبين السطح لا يحصل الا في علم الله
ألا ترى انه قال والجبال أوتادا مع أن العالم من الناس يستقرون
عليها فكذلك ههنا والثاني ان هذه الآية انما ذكرت ليستدل
بها على وجود الصانع والشرط أن يكون ذلك امرا مشاهدا
معلوما حتى يصح الاستدلال به على وجود الصانع فثبت أن
التأويل الحق ما ذكرنا انتهى وقال في تفسير قوله تعالى ان
في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الآية ما نصه
وهما يتعلق بأحوال الارض أنها كرة وقد عرفت ان امتداد
الارض فيما بين المشرق والمغرب يسمى طولا وامتدادها بين
الشمال والجنوب يسمى عرضا فنقول طول الارض إما أن
يكون مستقيما أو مقعرا أو محدبا وأثبت الاخير وأبطل الاولين
وكذلك صنع في عرضها بعبارة فيها طول ثم قال الحجة الثانية ظل
الارض مستدير فوجب كون الارض مستديرة بيان الاول
ان انخساف القمر ظل الارض لانه لا معنى لانخسافه الا زوال
النور عن جوهره عند توسط الارض بينه وبين الشمس ثم نقول
وانخساف القمر مستدير لانا نحس بالمقدار المنخسف منه مستديرا
واذا ثبت ذلك وجب أن تكون الارض مستديرة لان امتداد
الظل يكون على شكل الفصل المشترك بين القطعة المستضيئة
بإشراق الشمس عليها وبين القطعة المظلمة منها واذا كان الظل
مستديرا وجب أن يكون ذلك الفصل المشترك الذي شكل كل

الظل مثل شكله مستديرا فثبت ان الارض مستديرة ثم ان هذا الكلام غير مختص بجانب واحد من جوانب الارض لان المناظر الموجبة للخسوف تتفق في جميع أجزاء فلك البروج مع ان شكل الخسوف أبدا على الاستدارة فاذا الارض مستديرة الشكل من كل الجوانب واحتج من قدح في كروية الارض بأمرين أحدهما ان الارض لو كانت كرة لكان مركزها منطبقا على مركز العالم ولو كان ذلك لكان الماء محيطا بها من كل الجوانب لان طبيعة الماء تقتضي طلب المركز فيلزم كون الماء محيطا بكل الارض والثاني ما يشاهد في الارض من التلال والجبال العظيمة والاغوار المقعرة جدا أجابوا عن الاول بأن العناية الالهية اقتضت اخراج جانب من الارض عن الماء بمنزلة جزيرة في البحر لتكون مستقرا للحيوانات وأيضا لا يبعد سيلان الماء من بعض جوانب الارض الى المواضع الغائرة منها وحينئذ يخرج بعض جوانب الارض وعن الثاني بأن هذه التضاريس لا تخرج الارض عن كونها كرة قالوا لو اتخذنا كرة من خشب قطرها ذراع مثلا ثم أثبتنا فيها أشياء بمنزلة جاورسات أو شعيرات وقورنا فيها كأمثالها فانها لا تخرجها عن الكروية ونسبة الجبال والغيران الى الارض دون نسبة تلك النباتات الى الكرة الصغيرة انتهى

الجاورس غلة مخصوصة وهي الذرة الصغيرة والظاهر انه معرب كاورس الفارسية كما في الاوقيانوس

وقال الامام حجة الاسلام الغزالي في كتاب تهافت الفلاسفة ما نصه القسم الثاني ما لا يصدم مذهبهم (يعني الفلاسفة) فيه أصلا من

اصول

اصول الدين وليس من ضرورة تصديق الانبياء والرسل منازعتهم
فيه كقولهم ان خسوف القمر عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط
الارض بينه وبين الشمس من حيث إنه يقتبس نوره من الشمس
وان الارض كرة والسماء محيطة بها من الجوانب فاذا وقع القمر
في ظل الارض انقطع عنه نور الشمس وكقولهم ان كسوف
الشمس معناه وقوف جرم القمر بين الناظر وبين الشمس وذلك
عند اجتماعهما في العقدتين على دقيقة واحدة وهذا الفن أيضا
لسنا نخوض في ابطاله اذ لا يتعلق به غرض ومن ظن ان المناظرة
في ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضعف أمره فان
هذه الامور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها
ريبة فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها حتى يخبر بسببها عن وقت
الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما الى الانجلاء اذا قيل له ان
هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه وانما يسترب في الشرع
وضرر الشيء ممن ينصره لا بطريقه اكثر من ضرره ممن يطعن
فيه بطريقه وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل
فان قيل فقد قال عليه الصلاة والسلام ان الشمس والقمر لا يخسفان
من آيات الله عز وجل لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم
ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والصلاة فكيف يلائم هذا
ما قالوه قلنا ليس في هذا ما ينافض ما قالوه اذ ليس فيه الا نفي وقوع
الكسوف لموت أحد ولا لحياته والامر بالصلاة عنده والشرع
الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والطلوع والغروب من أين

يعقد منه ان يأمر بها عند الكسوف استحبابا فان قيل فقد روى
انه قال في آخر الحديث ولكن الله اذا تجلى لشيء خضع له فيدل
على ان الخسوف خضوع بسبب التجلي قلنا هذه الزيادة لم يصح
نقلها فيجب تكذيب ناقلها وانما المروي ماذكرناه كيف
ولو كان صحيحا لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية
فكم من ظواهر أوّلت بالادلة القطعية لاتنتهي في الوضوح الى هذا
الحدّ وأعظم مايفرح الملحد ان يصرح ناصر الشرع بأن هذا
وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق ابطال الشرع
ان كان شرطه أمثال ذلك وهذا لان البحث في العالم عن كونه
حادثا أو قديما ثم اذا ثبت حدوثه فسواء كان كرة أو بسيطا
أو مثمنا أو مسدسا وسواء كانت السموات وماتحتها ثلاث عشرة
طبقة كما قالوه أو أقل أو اكثر فنسبة النظر فيه الى البحث كنسبة
النظر الى طبقات البصل وعددها وعدد حبات الرمان فالمقصود
كونه من فعل الله فقط كيف كان انتهى كلام الامام حجة
الاسلام الغزالي بنصه وفصه وهو من الوضوح والظهور
والاستيفاء في الغاية والنهاية

هذا وقد ذهب أناس الى القول بالهيئة الجديدة أعني ماوقع
عليه اختيار أهل الهيئة في هذه الاعصار الاخيرة وان كان قديما
معهودا عند السلف كالقول بأن الارض تدور حول الشمس
وان هذا المرئي الذي نسميه سماء أو فلكا هو فضاء واسع وزرقته
من اكتناف الاشعة الشمسية للاجزاء الارضية واشباه ذلك

وقالوا

وقالوا بتأويل ماورد فى ذلك من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وحملها على مايوافق ماذهبوا اليه فزعموا ان السموات فى نحو قوله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا عبارة عن دوائر الشموس وذلك انهم سموا كل كوكب ثابت شمسا وقالوا ان لكل واحدة من هذه الشموس دائرة وعدة متعلقات كثيرة تدور حولها من السيارة والملتزمات وذوات الذوائب وكل واحد من هذه المتعلقات عالم مثل كرة أرضنا ومن جملة هاتيك الشموس هذه الشمس المشهورة ولها دائرة مخصوصة بها وعدة متعلقات تدور حولها من السيارات والملتزمات ومن جملة السيارات الدائرة حولها هذه الارض التى نحن عليها والقمر ملتزم لها ويدور عليها ومعها على الشمس وفوق ذلك صفوف دوائر شمسية متكاثرة بعضها فوق بعض الى حيث لاتحيط به النظار ولاتدركه الفكر وما يعلم جنود ربك الا هو فالسموات عندهم عبارة عن هذه الدوائر بما فيها من الكواكب الكثيرة وقالوا فى طباق السموات وكونها سبعة إن الكواكب الثابتة سبع طبقات فما كان منها يرى فى غاية الظهور والاضاءة فهو الطبقة الاولى ويقال لها المرتبة الاولى والقدر الاول وما كان أبعد منها اغير كثير وأقل فى الظهور والاضاءة بمقدار يسير فهو الطبقة الثانية وهكذا الى الطبقة السادسة كل طبقة ترى كواكبها أبعد من التى قبلها وأقل منها ظهورا واستنارة والطبقة السابعة هى التى لاترى كواكبها الا بالمنظرة المعظمة فهذه الطبقات عندهم هى طباق السموات

وقوله تعالى وزينا السماء الدنيا بمصابيح الآية قالوا السماء الدنيا عبارة عن الدوائر الشمسية التي نحن فيها المزينة بما فيها من السيارة وسيارة السيارة وذوات الاذناب وغيرها من متعلقاتها الى نحو ذلك من التأويلات وفي كتاب أسرار الملكوت وشرحه الموسوم بأفكار الجبروت طرف من تأويلاتهم وآرائهم ودلائلهم والاعتراضات التي أوردت على مذهبهم وما أجابوا به عنها والشرح المذكور مطبوع في القسطنطينية دار السلطنة السنية وهو باللغة التركية ومتنه بالعربية فليطلع عليه من أراد إذ لسنا بصدد بيان الهيئة الجديدة ولا القديمة فان ذلك منوط بأهله ومبسوط في محله وانما كان أصل القول في الانكار الذي توجه على وادي النيل وقد أدى الحال الى الاستطراد بنقل ما ذهب اليه هؤلاء القوم من التأويل فانساق الكلام وجر بعضه بعضا والحديث شجون وهاك حكاية مناظرة بين واحد منهم وصديق له من الفقهاء

(قال الفقيه) لصاحب الهيئة أراك تقول الآن بهذه الهيئة الجديدة مع مخالفتها النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وقد كنت أعهدك على يقين في دينك وبصيرة في امرك فكيف اخترت لنفسك مفارقة الدين والخروج من دائرة المهتدين

(قال صاحب الهيئة) معاذ الله كيف تكفر من يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ويعتقد أن جميع ما سوى الله تعالى على أي حالة كان سواء كانت الشمس مركزا والارض تدور عليها أو غير

ذلك

ذلك حادث ومخلوق لله سبحانه وتعالى وأما ماذكرت من مخالفة الهيئة الجديدة لنصوص الشرع فأنا اذا تتبعت كلام القوم ورأيتهم قد قرروا شيأ من قواعدهم على خلاف المشهور من الهيئة القديمة ثم أثبتوا شيأ مما يدعونه بدلائل قطعية أو قواعد حسابية أو أمور بصرية لا يمكن مقاومتها ولا تحسن مكابرتها ثم رجعت الى ما يتعلق بالهيئة من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية فوجدت ألفاظها لا تأبى أن تؤول بما يوافق تلك الادلة القطعية ورأيت علماء السنة رضى الله عنهم قد تأولوا كثيرا من الظواهر لمثل ذلك ونظرت الى ما قرره الامام حجة الاسلام الغزالى رضى الله عنه في كتاب تهافت الفلاسفة من أن المصير الى التأويل أولى من مكابرة ما قام عليه الدليل ووجدت كثيرا من المفسرين حملوا بعض الظواهر على ما يوافق ما قيل في الهيئة القديمة والحال أن كلا من أرباب الهيئة القديمة والجديدة بالنسبة الينا على حد سواء أفلا يجوز لى حينئذ التعويل على تأويل تلك الظواهر بما يوافق ما قامت عليه الادلة القطعية في الهيئة الجديدة مما تقبله كلماتها وتحتمله عباراتها مع الاعتقاد الجازم بأن جميع ما جاء في كتاب الله العظيم وصح عن رسوله الكريم حق وصدق لا ريب فيه ولا مرية وهو أعلم بحقيقته وأسراره وباطنه وظاهره

(قال الفقيه) فهل يمكن التوفيق بين النصوص الشرعية وما قيل في الهيئة الجديدة (قال) نعم بل كثير من الاوجه المذكورة في كتب التفسير المتداولة موافق لذلك غير محوج الى تأويل غيره

(قال الفقيه) قد زعمتم أن هذا الذي نراه أزرق ونسميه سماء فضاء فما معنى السماء اذن في كتاب الله تعالى

(قال صاحب الهيئة) هي دوائر الشموس بما فيها من الكواكب

(قال الفقيه) فاذن هي عندك أمور اعتبارية

(قال صاحب الهيئة) ليس كذلك فقد قلنا انها الدوائر بما فيها من الكواكب وليست هذه الكواكب مجرد أمور اعتبارية تخييلية حتى يلزم ما ذكرت بل هي موجودات حقيقية وأجسام وجودية محسوسة بالغة في العظم والكثرة مبلغا عظيما فهذه الدائرة الشمسية التي نحن فيها بما فيها من الكواكب السيارة وسيارة السيارة وذوات الذوائب وغيرها هي السماء الدنيا فوقها غيرها وهكذا وانما الذي ننفيه ما زعمه بعض أصحاب الهيئة القديمة من الكيفية المبينة في كتبهم من ان السموات أجسام متراكبة متماسة متلاصقة كطبقات البصلة ولا تقبل الخرق ولا الالتئام وهذا شيء لم يرد به كتاب ولا سنة بل ينافيه ما ورد في الاخبار من التفاوت بين طبقات السموات ويترتب عليه انكار تنزل الملائكة ونحوه فأي الطريقين أقرب للشرع مسلكا وأحسن منسكا

(قال الفقيه) فما معنى قوله أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها

(قال صاحب الهيئة) ان كنت قد ظننت انه بناها كما يبني البناء لبنة فوق لبنة فليس كما تزعم ولكن الله سبحانه وتعالى بين انه كيف

كيفيتناها بقوله بعد ذلك رفع سمكها فسوّاها الى آخره كما في
تفاسير الرازي والبيضاوي وأبي السعود وغيرها

(قال الفقيه) إيه فما معنى قوله رفع سمكها فسوّاها

(قال صاحب الهيئة) رفع سمكها جعل مقدار ارتفاعها وذهابها
في سمت العلو مديدا رفيعا وسوّاها أي تممها بما يتم به كمالها من
الكواكب والتداوير من قولهم سوّى فلان أمره اذا أصلحه
كما هو بعض أوجه مذكورة في كثير من التفاسير

(قال الفقيه) فما معنى قوله وأوحى في كل سماء أمرها

(قال صاحب الهيئة) أمرها ما هي عليه من النظام المخصوص
والترتيب العجيب والصنع الباهر قال شيخزاده في حاشيته على
البيضاوي فسر الامر بالشأن فيكون واحدا لامورأى جعل كل
واحدة على ما يتأتى منها من الشؤون وقيل وحي شأن السماء في
كل واحدة منها عبارة عن خلق شمسها وقمرها ونجومها والايحاء في
الاصل الالقاء فكان مجازا عن اظهار ما أراده في كل سماء انتهى

(قال الفقيه) فما معنى قوله سبحانه وتعالى أنزل من السماء ماء

(قال صاحب الهيئة) قال شيخزاده والسماء يحتمل الفلك على
ما قيل من أن المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب
الى الارض ويحتمل جهة العلو سماء كانت أو سحابا فان كل ما علا
الانسان يسمى سماء ومن هذا قيل لسقف البيت سماء انتهى
فنحن نختار هذا الوجه الثاني وقد ذكره الشهاب الخفاجي

فى عناية القاضى بعد ذكر الاول فقال وان كان قد درج الاول قبله مانصه

ومن ذهب الى خلافه أول الآيات بأن المراد أنه ينزل من السحاب وهو يسمى سماء لعلوه أو أنه ينشأ من أسباب سماوية وتأثيرات أثيرية فهو مبدأ مجازى له واليه أشار المصنف رحمه الله (يعنى البيضاوى بقوله أو من أسباب سماوية تثير الابخرة الرطبة من أعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا) قال وتفصيله كما فى كتب الحكمة الطبيعية أن الشمس اذا سامتت بعض البحار والبرارى أثارت من البحار بخارا رطبا ومن البرارى بخارا يابسا والبخار أجزاء هوائية يمازجها أجزاء صغار مائية لطفت بالحرارة حتى لا تمتاز فى الحس لغاية صغرها فاذا صعد البخار الى طبقة الهواء الثالثة تكاثف فان لم يكن البرد قويا اجتمع ذلك البخار وتقاطر لثقله بالتكاثف فالمجتمع هو السحاب والمتقاطر المطر وان كان البرد قويا كان ثلجا وبردا وقد لا يعقد سحابا ويسمى ضبابا انتهى وقد ذكر العلامة مفتى الثقلين أبو السعود فى تفسيره هذا الوجه الذى نختاره من أن المراد بالسماء جهة العلو وعلله باظهار لفظ السماء فى الآية الكريمة فى موضع الاضمار وفى تفسير الجلالين تفسير السماء بالسحاب فى مثل هذه الآية كما فى قوله سبحانه أو كصيب من السماء

(قال الفقير) فما تقول فى قوله وكل فى فلك يسبحون

(قال صاحب الهيئة) قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسير

سورة

سورة الانبياء الفلك فى كلام العرب كل شئ دائر وجمعه أفلاك واختلف العقلاء فيه فقال بعضهم الفلك ليس بجسم وانما هو مدار النجوم وهذا قول الضحاك وقال الاكثرون بل هى أجسام تدور النجوم عليها الى آخر ماذكره فالقول الاول يوافق الهيئة الجديدة والثانى يوافق القديمة

(قال الفقيه) فما معنى قوله سبحانه وسع كرسيه السموات والارض

(قال صاحب الهيئة) قال القاضى البيضاوى مانصه وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد ولا كرسى فى الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه تعالى أو ملكه مأخوذ من كرسى العالم والملك ثم ذكر ماهو مشهور

(قال الفقيه) فما تقول فى قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما

(قال صاحب الهيئة) قال الامام فخر الدين الرازى بعد أن ذكر القراءتين حمئة وحامية مانصه البحث الثانى أنه ثبت بالدليل ان الارض كرة وان السماء محيطة بها من الجوانب ولا شك ان الشمس فى الفلك وأيضا قال ووجد عندها قوما ومعلوم أن جلوس قوم فى قرب الشمس غير موجود وأيضا الشمس اكبر من الارض بمرات كثيرة فكيف يعقل دخولها فى عين من عيون الارض اذا ثبت هذا فنقول تأويل قوله تغرب فى عين حمئة من وجوه * الاول أن ذا القرنين لما بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شئ من العمارات وجد الشمس كانها تغرب فى وهدة مظلمة وان لم تكن

قوله فى صحيفة ١٦ سطر ١٧ باظهار لفظ السماء فى موضع الاضمار يعنى قوله عز وجل الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء حيث أعاد لفظ السماء اظهارا فى موضع الاضمار اه منه

كذلك في الحقيقة كما ان راكب البحر يرى الشمس كانها تغيب في البحر اذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر هذا هو التأويل الذي ذكره أبو علي الجبائي في تفسيره * الثاني ان في الجانب الغربي من الارض مساكن يحيط البحر بها فالناظر الى الشمس يتخيل كأنها تغيب في تلك البحار ولا شك ان البحار الغربية قوية السخونة فهي حامية وهي أيضا حمئة لكثرة ما فيها من الحمأة السوداء والماء فقوله تغرب في عين حمئة اشارة الى أن الجانب الغربي من الارض قد أحاط به البحر وهو موضع شديد السخونة * الثالث قال أهل الاخبار ان الشمس تغرب في عين كثيرة الماء والحمأة وهذا في غاية البعد وذلك لانا اذا رصدنا كسوفا قمريا فاذا اعتبرناه ورأينا ان المغربيين قالوا حصل هذا الكسوف في أول الليل ورأينا المشرقيين قالوا حصل في أول النهار وعلمنا أن أول الليل عند أهل المغرب هو أول النهار الثاني عند أهل المشرق بل ذلك الوقت الذي هو أول الليل عندنا فهو وقت العصر في بلد ووقت الظهر في بلد آخر ووقت الضحوة في بلد ثالث ووقت طلوع الشمس في بلد رابع ونصف الليل في بلد خامس واذا كانت هذه الاحوال معلومة بعد الاستقراء والاعتبار وعلمنا أن الشمس طالعة ظاهرة في كل هذه الاوقات كان الذي يقال انها تغيب في الطين والحمأة كلاما على خلاف اليقين وكلام الله تعالى مبرأ عن هذه التهمة فلم يبق الا أن يصار الى التأويل الذي ذكرناه ثم قال تعالى ووجد عندها قوما الضمير في قوله

عندها الى ماذا يعود فيه قولان الاول أنه عائد الى الشمس ويكون التأنيث للشمس لان الانسان لما تخيل أن الشمس تغرب هناك كان سكان هذا الموضع كانهم سكنوا بالقرب من الشمس والقول الثاني أن يكون الضمير عائدا الى العين الحامية وعلى هذا القول فالتأويل ماذكرناه انتهى كلام الامام الرازي بحروفه وقد نحا القاضي البيضاوي نحوه في تفسيره فقال لعله (يعني ذا القرنين) بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ثم ان البيضاوي أيد ذلك باستنباطه من لفظ الآية الكريمة فقال ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وكتب الشهاب على ذلك ماصورته وما قيل من ان الوجدان يدل على الوجود ولو كان المراد ماذكر لقال رآها ليكون من غلط الحس مع ان اطلاق العين على البحر المحيط خلاف الظاهر مدفوع بأن وجد يكون بمعنى رأى كما ذكره الراغب فهي مساوية لها يجري فيها ما يجري فيها وأما كونه لموافقة قوله وجد عندها قوما فلا يجدي لانه مؤول أيضا كما عرفت وتسمية البحر المحيط عينا لا محذور فيه خصوصا وهو بالنسبة لعظمة الله كقطرة وان عظم عندنا انتهى

وقد استطرد صلاح الدين الصفدي في شرح لامية العجم الى ذكر هذه الآية الشريفة عند الكلام على قول الطغرائي (نأى عن الاهل صفر الكف) الى آخره فكتب على الآية كلاما طويلا قال في جملته ان الخطاب أورد على حكم الحس في الظاهر والحس

قد يكذب فيرى الصغير كبيرا وعكسه ويرى النقطة خطا ودائرة كما في النقطة الممتدة من السماء الى الارض والنقطة على الرحى التي تدور سريعا وكما اذا غمز الانسان عينه ورأى القمر فانه يراه اثنين ثم ذكر في تعليل هذا كلاما طويل الذيل ورجع الى القول في كذب الحس وغلطه فقال وقد يرى القمر السائر تحت السحاب متحركا الى غير الجهة التي يتحرك اليها في الحقيقة ويرى النار البعيدة كبيرة وهي صغيرة والجبال وغيرها في السراب طوالا ويرى الخاتم اذا وضعه على عينه وحلقه كالسوار ويرى الشمس عند الشروق والغروب أكبر مما هي عند الزوال ويرى العنبة في الماء كالاجاصة وغلط الحس كثير وما أحسن قول أبي العلاء

والنجم تستصغر الابصار رؤيته
والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

وقال الخفاجي

ولا ينال كسوف الشمس طلعتها * وانما هو فيما يزعم البصر

وقال البوصيري

والشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من أمم

وقال أيضا

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

(قال الفقيه) حسبي من هذا النمط فلسنا بصدد الاستشهاد بابيات الادباء وايراد كلمات الشعراء فماذا تقول في قوله سبحانه والشمس تجري

تجري لمستقر لها اذا زعمتم أن الشمس مركز والارض دائرة عليها وأنكرتم ان الشمس تدور على الارض

(قال صاحب المعيشة) مهلا فما تقول انت في قوله تعالى أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض الآية

(قال الفقيه) قد ذكر في تأويله وجوه منها أن المعنى من في السماء ملكه وقضاؤه أو في السماء على زعمكم واعتقادكم فان العرب كانوا يعترفون بوجود الله الا أنهم كانوا يزعمون أنه في السماء أو المراد بمن في السماء جبريل

(قال صاحب المعيشة) فما المانع من ان تقول في قوله والشمس تجري ان المعنى تجري على زعمهم واعتقادهم كما قيل في أأمنتم من في السماء أو انها تجري على حسب رأي الرائي ونظر الناظر كما قيل في تغرب في عين حمئة فيقال في جريانها كما قيل في غروبها على أنا لا حاجة بنا الى شيء من ذلك فان اللفظ الكريم ليس فيه أنها تجري حول الارض بل الذي فيه أنها تجري فقط ونحن انما ننفي حركتها حول الارض ولا نقول انها واقفة معطلة عن الحركة بل نثبت لها اكثر من حركة فمن ذلك حركتها حول محورها وقد ثبتت هذه الحركة بالارصاد الحقيقية وكانت من قبل مجهولة لان الشمس لشدة لمعان ضوئها لم يمكن من الممكن تحديد النظر اليها فلما استحدثت المنظرة الرصدية المعظمة المعروفة باسم تلسكوب المشتملة على الزجاجات المسلونة لاضعاف شعاعها سهل النظر اليها فوجد في جرمها اشامات تبدو من طرفها الشرقي وتغيب في طرفها

الغربي في مدة نحو (١٤) يوما وبعد مدة مثلها تظهر من طرفها الشرقي فعلم أنها مع الشامات تتم الدور المستمر في ٢٧ يوما و ١٢ ساعة و ٤٠ دقيقة فاذا نقص من ذلك يوم واحد و ٢٣ ساعة و ١٢ دقيقة للدور السنوي للارض بقي لدور الشمس على محورها ٢٥ يوما و ١٤ ساعة و ٨ دقائق

(قال الفقيه) حسبك ان كنت أردت أن تفسر بهذه الحركة قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها فكيف يقال لحركتها على محورها جري وهذه الحركة انما يقال لها دور لا جري كما يقال دار الدولاب ودارت البكرة

(قال صاحب الهيئة) لا مانع من اطلاق الجري على ذلك كما في قولهم ساقية جارية وقد قال حسان رضي الله عنه يصف فرس الحارث بن هشام

تذر العناجيج الجياد بقفرة * مر الذبول بحصد ورجام

أراد بالذبول البكرة وقال امرؤ القيس في صفة فرس أيضا

دريرٍ كخذروف الوليد أمره * تتابع كفيه بخيط موصل

فقد شبها جري الفرس بحركة البكرة والخذروف وحركتهما انما هي على المحور

(قال الفقيه) انما قال حسان مر الذبول ولم يقل جري الذبول وقال امرؤ القيس أمره ولم يقل أجراه فغاية ما يستفاد من كلامهما أن الحركة على المحور تسمى مرورا لا جريا

(قال

(قال صاحب الهيئة) مادة الجرى موضوعة لسرعة المرور كما قال الفيروزابادى فى البصائر ونقله السيد عاصم فى ترجمة القاموس على أننا الاضرورة بنا الى حمل جرى الشمس فى الآية الكريمة على هذه الحركة فقد قدمت لك أننا اثبت لها اكثر من حركة واحدة فمن ذلك أيضا انها بجميع عالمها أى بكافة مايدور حولها من السيارة وسيارة السيارة وكل مايتعلق بها تدور حول شئ آخر لم يعلم تعيينه الى هذا الوقت بوجه التحقيق فقيل انها تدور حول نجمة من نجوم الثريا وقيل حول نجمة من نجوم صورة النسر الطائر وقيل من صورة الجاثى على ركبتيه والحاصل أن سيرها قد تحقق على وجه اليقين بواسطة أرصاد الفلكيين ولكن لم يعلم المركز الذى تدور عليه والجهة المتجهة اليها الى اليوم على وجه التعيين ولم يظهر أيضا انحناء القوس الذى تدور عليه لغرط عظمه وغاية كبره وقصر المدة التى حصل فيها الرصد بالنسبة لذلك وعدم كفاية جهاز رؤية انحنائه فيظن الرائى انها تسير على خط مستقيم لانه يراها كذلك ولكنهم يقولون انها تسير على دائرة لا على خط مستقيم قياسا على سائر الكواكب لانها تقطع فى سيرها دوائر لا خطوطا مستقيمة

واذا تقرر لها ماذكر من الحركة سواء كانت على دائرة أو على خط مستقيم لم يبعد أن يحمل عليه قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم

(قال الفقيه) فما معنى قوله لمستقر لها

(قال صاحب الهيئة) معناه الى وقت استقرارها وذلك عند فناء العالم فاللام بمعنى الى كما في قوله سبحانه كل يجري لاجل مسمى وان جعلت جريها بمعنى حركتها على محورها فلك أن تجعل المستقر بمعنى المكان الذي هي فيه أي تدور في مكانها وعليه فاللام في قوله لمستقر لها بمعنى في كما في قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة أي في يوم القيامة وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو أي في وقتها وقوله يا ليتني قدمت لحياتي أي في حياتي وقولهم مضى لسبيله أي في سبيله

(قال الفقيه) فقوله تعالى في دلائل قدرته ووحدانيته وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم يبطل ما تقولونه من سير الارض

(قال صاحب الهيئة) تميد بمعنى تتزلزل وتضطرب يقال ماد السراب يميد اذا اضطرب ونحن لا نقول انها في أثناء سيرها مرتجة مضطربة حتى يرد علينا بهذه الآية بل نقول انها تسير في غاية الانتظام ولا شك أن في سير مثل هذا الجسم العظيم على هذا النظام الباهر والترتيب الفائق من الدلالة على كمال قدرة الصانع عظمته وأحديته ما لا يخفى ولا ينكر ولذلك لما قال الله سبحانه (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) عقبه بقوله (صنع الله الذي أتقن كل شئ)

(قال الفقيه) لا بد أن توجد نصوص تعارض ما تقولونه ولا تقبل من وجوه التأويل مثل ما تبدونه ولكن هذا ما حضرني الآن وخطر ببالي على الفور اذ لا يتيسر استحضار جميع ذلك جملة وسرده

دفعة

وفهمه فما الذي نصنعه اذا عارض مسألة من هذه الهيئة نص شرعي لا يمكننا تأويله لعدم احتماله

(قال صاحب الهيئة) لو أتيت بشيء مما تراه بهذه المثابة لكان لنا ان نتطرف فيه ونتكلم عليه بحسب ما يقتضيه ولكن أنا الآن أخبرك بما أراه في هذا الامر على سبيل الاجمال والعموم وأكاشفك بما أذهب اليه وأعتقده وأعول عليه وأعتمده فان رأيت أني أصبت شاكلة الصواب فيما ذهبت اليه كان لك الخيرة في أن توافقني عليه وان رأيت اني أخطأت الطريق وأسأت الصنيع فدلني على ما تراه الصواب واحتسب على الله الثواب

فأقول اذا تعارضت مسألة فلكية ونص شرعي فهذه المسألة الفلكية بحسب القضية العقلية لا تخلو من أحد أمرين إما أن تكون مثبتة بالدلائل القطعية أم لا فان كان الثاني أي كانت هذه المسألة مذكورة في كلامهم دعوى من غير دليل ولا يقوم عليها برهان صحيح وحجة قاطعة فلا حاجة بنا حينئذ الى التأويل اذ لا ضرورة بنا الى تقليد كل ما قيل بدليل ومن غير دليل لمجرد كون قائله أثبت بعض ما قاله بالدلائل اذ لا يلزم من قيام الدليل على مسألة ثبوت باقي المسائل أما اذا كانت المسألة قد أثبتت بدلائل قطعية وبراهين مسلمة لا تبقى معها شبهة فان عارضها شيء من الظواهر يقبل التأويل بما تطابقه المسألة ويحتمل الحمل على ما أثبتته الأدلة قلنا بذلك التأويل وعلى الله قصد السبيل وأما ان عارض تلك المسألة القطعية بالفرض والتقدير والتسليم

الجدلي نص شرعي لا نعلم له تأويلا فوضنا علمه الى الله سبحانه وتعالى حتى يعلمنا تأويله وعلمنا أن عدم وقوفنا على تأويله انما جاء من قصور أذهاننا عن المضاء في فهمه والنفوذ في معرفته فهذا الذي أختاره وأرتضيه فأخبرني بما تراه فيه

(قال الفقيه) ملخص ما تقوله أنك لا تذهب الى تأويل شيء من الكتاب والسنة الا اذا عارض الدلائل القطعية والحجج العقلية التي لا يبقى معها شبهة عندكم فان كان فيما تقولون به من مسائل فنكم شيء قامت عليه دلائل قاطعة وبراهين ساطعة فهاتوا برهانكم حتى ننظر فيه فان كان بهذه الصفة التي تذكرها وعلى طبق الدعوى التي تقررها نظرنا بعد ذلك فيما ذهبت اليه من هذه التأويلات وان لم نجد غير مقدمات وهمية وأمور سوفسطائية لا تكفي ولا تشفي ولا تثبت ولا تنفي بينا فسادها وفوضنا عمادها اذ لا يلزمنا ان نصير الى التأويل لمجرد تقدير أن عندك على ما تقوله أدلة لا نعلمها * فلما وصل الكلام بينهما الى هذه الغاية كان النهار قد انقضى وضاق الوقت وسئم الحاضرون من طول المجلس

(فقال صاحب الهيئة) قد طال بنا الحديث وكلت الهمة والفكر وما طلبته مبسوط مقرر في الكتب المؤلفة في علم الهيئة على الطريقة الجديدة وهذه الطريقة وان سميت جديدة الا انها قديمة وانما كانت هجرت وأهملت فلما تجدد القول بها سميت جديدة وظن كثير من الناس انها مستحدثة وليس الأمر كذلك وقد كان فيثاغورس يعلم تلامذته في مدرسة (كروتونيا) من

بلاد

بلادايتاليا على طريقة حركة الارض وذلك قبل ميلاد عيسى عليه السلام بمدة خمسمائة عام فلما جاء بطليموس الرومى قبل الميلاد بمائة وأربعين سنة اختار القول بسكون الارض ودورة الشمس عليها وبنى مذهبه على ذلك فشاعت قاعدته بين الناس واشتهرت فى البلاد لاستيلاء الروم على أقطار الارض ونقلها الفارابى من فلاسفة الاسلام بعد ذلك فى مؤلفاته العربية أوائل القرن الرابع من الهجرة وتبعه ابن سينا وغيره من جاء بعده وهجرت الطريقة التى كان عليها فيثاغورس ثم نبغ ببلاد لهستان رجل يقال له (كوپرنيكوس) تبحر فى العلوم الرياضية واشتغل بالهيئة والرصد والحكمة من سنة (١٥٠٠) الى سنة (١٥٣٠) من الميلاد وهى سنة (٩٣٧) من الهجرة فرجع الى الطريقة التى كان عليها فيثاغورس المؤسسة على حركة الارض وقرر أن الشمس مركز وأن الارض والسيارة تدور حولها فأولا عطارد ثم الزهرة ثم الارض ثم المريخ ثم المشترى ثم زحل وأيد هذه الطريقة بتطبيقها على قواعد العلوم الرياضية وأشهر ذلك فى كتاب له عنوانه (حركات الاجرام السماوية) فحكم عليه فى مجمع كنيسة رومية بالزيغ والالحاد ونهوا عن اشهار كتابه وعن قراءته ولو أمكنهم لاحرقوا (كوپرنيكوس) ولكنه اشتهر كتابه مع ذلك وشاع هذا المذهب فنسب اليه وقيل هيئة (كوپرنيكوس) ثم قام بذلك من بعده جماعة غيره فى أوقات متفاوتة وجهات مختلفة من بلاد أوروبا حتى صارت هذه الطريقة هى المتعارفة

المعول عليها في جميع الجهات الاربعة وعرفت بالهيئة الجديدة
وهذه الطريقة المؤسسة على حركة الارض معروفة كعكسها
مستفيضة النقل في الكتب الاسلامية قبل (كوبرنيكوس)
وبعده وذكرها في كتابه الموسوم بالمواقف العلامة عضد الدين
عبد الرحمن بن أحمد المتوفى سنة (٧٥٦) من الهجرة وأورد
عليها اعتراضات ثلاثة ثم كر على تلك الاعتراضات بالنقض
والرد وجرى معه على ذلك شارحه العلامة السيد الشريف علي
ابن محمد الجرجاني المتوفى سنة (٨١٦) في شرحه وكان فراغه
من تأليفه سنة (٨٠٧) وهذه عبارة المتن مع شيء من الشرح
قال في الموقف الرابع (وقيل انها) يعني الارض (تدور على)
مركز (نفسها من المغرب الى المشرق خلاف الحركة اليومية)
للفلك التي اعتقدها الجمهور (والحركة اليومية لا توجد وانما
تتخيل بحركة الارض اذ يتبدل الوضع من الفلك) بالقياس
الينا (دون اجزاء الارض) اذ لا يتغير الوضع بيننا وبينها فانا على
جزء معين منها فاذا تحركت من المغرب الى المشرق ظهر علينا من
جانب المشرق كواكب كانت مختفية عنا بحدبة الارض وخفي
عنا بحدبتها من جانب المغرب كواكب كانت ظاهرة علينا
(فيظن أن الارض ساكنة والمتحرك هو الفلك) وليس كذلك
(بل ليس ثمة فلك أطلس وذلك كراكب السفينة يرى السفينة
ساكنة مع حركتها حيث لا يتبدل وضع اجزائها منه والشط
متحركا مع سكونه حيث يتبدل وضعه مع ظن أنه ساكن وكذلك

يرى

يرمى القمر سائرا الى جهة الغيم حين يسير الغيم اليه وغيره من أمور قد مناها فى غلط الحس وأبطلوا ذلك بوجوه) ثلاثة (الاول أن الارض لو كانت متحركة فى اليوم بليلته دورة واحدة لكان ينبغى للسهم اذا رمى الى جهة حركة الارض أن لا يسبق موضعه الذى رمى فيه بل تسبقه الارض واذا رمى الى خلاف) جهة (حركتها أن يمر) عن الموضع الذى رمى منه ويتجاوزه (بقدر حركته وحركة الارض جميعا واللازم باطل لاستواء المسافة) التى يقطعها السهم (من الجانبين بالتجربة الثانى الحجر يرمى الى فوق فيعود الى موضعه راجعا بخط مستقيم ولو كانت الارض متحركة الى المشرق لكان) الحجر (ينزل من مكانه الى جانب المغرب بقدر حركة الارض فى ذلك الزمان والوجهان ضعيفان يجوز أن يشايعها الهواء) المتصل بها مع ما يتصل به من السهم والحجر وغيرهما (فى الحركة كما يقولون بمشايعة الهواء للفلك فلا يلزم شئ من ذلك) فان السهم حينئذ يتحرك بحركة الارض تبعا للهواء المتابع لها فلا يتجاوز موضعه الذى رمى منه فى الجانبين لاجل حركة نفسه فيتساوى المسافتان وكذلك الحجر يتحرك بحركتها (وعمدتهم فى بيان ذلك) وهو الوجه الثالث (أن الارض فيها مبدأ ميل مستقيم) بالطبع (فلا يكون فيها مبدأ ميل مستدير والاعتراض عليه منع وجود ذلك المبدأ فيها وهو) أى وجوده فيها (مبنى على أن ما لا ميل له لا يتحرك قسرا) والا لكانت الحركة مع العائق الطبيعى مثلها بدونه (وقد عرفت ضعفه)

في مباحث الخلاء من الكتاب المذكور (ثم لا نسلم تنافيهما) أي تنافي الميلين حتى يلزم المنافاة بين المبدأين (لما ذكر من اجتماعهما في الجملة والدحرجة) انتهى كلامه أما كلام القوم في هذه الطريقة والاستدلال بها واعتراضهم على خلافها فهو مستوفى في كتبهم وهي كثيرة متداولة مطبوعة فاطلع عليه متى طلبت واخترما أحببت إذ لسنا بصدده فقد كان مدار القول بيننا على ان ما جاء في الشرع مما ظاهره يخالف بعض مسائل الهيئة قابل للتأويل وقد انتهى الكلام الى هذه الغاية وفيه الكفاية وعلى ذلك تم المجلس وكنت حاضرهما فوعيت ما دار بينهما ونقلته كما جرى منهما فان أنكر أحد ممن يطلع على ما ذكرته شيئا مما صدر من أحدهما أو غيرهما فالمرجو أن لا يتخذني غرضا للملام وعرضة للكلام من غير أن يتدبر ما قلته ويميز ما نقلته كما اعترض على وادي النيل فيما نقله والى الله نشتكي من سوء العادة الملتزمة هنا عند بعض الناس حاشا سادتنا الافاضل العارفين من انهم متى رأوا أحدا تصدى لانشاء رسالة أو نظم قصيدة أو ضم عبارة لعبارة أو جمع كلمة الى كلمة تطلبوا له العثرة وحاسبوه على مثقال الذرة فلو ملأ الدنيا فوائد ونظم نجوم الثريا فرائد ثم عثروا على محل فيه بظنهم للكلام مجال أول لنقد مقال ووقفوا عليه انظارهم وألسنتهم وعضوا عليه بالنواجذ وضربوا صفحا عما عداه فاذا لم يعثروا بهذه البغية المطلوبة والامنية المرغوبة تأولوا وتقولوا ونقصوا في الكلام وزادوا ليبلغوا ما أرادوا ثم وراء هذه

الطبقة

الطبقة من هذه الحالة قوم هم تبعة آرائهم وإمعة أهوائهم يتسمعون الكلمة منهم فيتبعونها ويذيعونها وهم لا يعونها أخبرني ثقة من الاصدقاء أنه وجد معترضا يعترض علي في هذه الحالة فعلم من كلامه أنه ما فهم مؤداها ولا قرأها ولا رآها وانما هو شيء سمع به على غير حقيقة قال ولو كان ممن يفهم لقرأت عليه ما طالعته منها في صحيفة وادي النيل فقد كانت في يدي ولكنه عن ذلك بمعزل

ومن البلية عذل من لا يرعوي * عن جهله وخطاب من لا يفهم

ومن هذا القبيل ما اتفق اني منذ مدة مضت رأيت بعض الناس يذم العلامة المتفنن ابن خلدون المشهور ويسبه سبا فاحشا تجاوز فيه الى تجويز لعنه فسألته عن سبب غيظه منه فزعم أنه ذكر في مقدمته أن سيدنا ومولانا الحسين رضي الله عنه قتل بسيف جده فقلت له اني وان كنت بعيد العهد بمطالعة هذا الكتاب لكن أعلم ان ابن خلدون لا يقول هذه المقالة فصمم هو على أنه قالها في الفصل الثالث من مقدمته وأنه رآها بعينه وقرأها بنفسه وان عهده بها قريب جدا فاستغربت ذلك ولما رجعت الى داري راجعت الفصل المذكور من مقدمة ابن خلدون فرأيته قال في صحيفة (١٠٦) من النسخة المطبوعة في مطبعة بولاق (سنة ١٢٨٤) ما نصه (وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه ان الحسين قتل بشرع جده وهو غلط حمله عليه الغفلة عن اشتراط

الامام العادل ومن أعدل من الحسين في زمانه) الى آخر ما قال
فانظر كيف نسب الى هذا الفاضل مقالة حكاها من غيره وغلط
قائلها وأنكرها عليه واشباه ذلك كثيرة لا نشغل بنقلها اقلامنا
ولا نثقل بها على من يطالع كلامنا ولمثل هذا قال بيننا التأليف
وندر من يتعرض للتصنيف وقديما قالوا من ألف فقد استهدف
فان أقدم احد على هذه الطريق الوعرة والمصلحة العسرة تراه
يتضرر ويتضجر ويتنصل ويعتذر كأنما اقترف خطيئة أو فعل
سيئة فيقول والله ما كتبت الا بحكم والزام والحاح وابرام
وأمر لم يمكني خلافه وربما لزمني اسعافه وليته لم يكن شيئا
مذكورا ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا ويتمثل بقول
القائل

على انني راض بأن أحمل الهوى * وأخرج منه لا علي ولا ليا

وأمثال ذلك مما يقوله توقيا من ألسنة القوم وطلبا للنجاة بنفسه
من اللوم فيكون أحب شيء اليه وأعز مطلوب لديه أن يخرج
من تأليفه بعد التعب والنصب لا له ولا عليه وهيهات هذا مطلب
يعز وصوله ومأرب لا يتيسر لكل أحد حصوله وبهذا الحال
يضن كل أحد بما عنده من نتائج فهمه وثمرات معارفه طلبا
لراحة سره وسلامته من القال والقيل وبذلك تقل المعارف
ويضمحل العلم ويذهب وتزول آثاره ولا يتحسم ضرر هذا الامر
الا اذا وجدت لنا جمعية عظيمة علمية تتركب من علماء جهابذة
ذوي خبرة وبصيرة ومعرفة بقدر الوطن ومحبته وحق خدمته

يعرض

يعرض عليها كل أحد تأليفه فان وجدته حسنا مقبولا قرظته
وأذنت في نشره وان كان على خلاف ذلك منعته وبينت له وجه
فساده وخطأ اجتهاده فان مثل هذه الجمعية اذا مدحت كتابا
انقطعت عنه ألسن الطغام وأقبلت عليه الخواص والعوام
فعمت فائدته وعظمت عائدته وأقبل كل أحد على ابراز ما عنده
وبذل جهده وعاد على أهل وطنه وبني نوعه بما آتاه الله من
فضله وثمرات عقله ثم تشتغل هذه الجمعية بتربية أهل الوطن
وتعليمهم ونشر ما يجدي في نفعهم ويؤثر في طباعهم ويحثهم على
مزيد الاجتهاد والتقدم والتمكن في التمدن وفي أهل وطننا العزيز
من ذوي المعارف والفضائل كفاية لذلك وزيادة فلعل جماعة
ممن لهم غيرة على الفضل وهبة في نفع الوطن يجتهدون في أن يكون
لهم جمعية مثل هذه وإنا لمحتاجون لها ايضا للاتفاق على ألفاظ
حسنة من اللغة العربية نستعملها بدل الالفاظ الاجنبية التي
احوجت الضرورة الى استعمالها في هذا اللسان الشريف مع
استغنائه عنها لعدم الاتفاق على شيء يسد مسدها مثل فابور
وتران وكيباله وأمثال ذلك فان ما تبدل به هذه الالفاظ وان كان
حسنا في ذاته لا يعم استعماله واعتماده ومعرفته الا اذا صدر عن
جمعية مثل هذه وفوائدها كثيرة يطول استقصاؤها ويعجز قلم
البليغ احصاؤها وقد رغب في ذلك وحث عليه في الجوائب

هيئة

حضرة الاستاذ الافضل الاكمل الاجل محب الخير لجميع البلاد
الاسلامية والمغرم بهذه اللغة الشريفة العربية فارس ميدان
البيان وأحد من خضع بديع اللفظ لمعانيه الحسان لازال
المحق اية براعته والصدق حلية يراعته ووفق الله أفاضل
هذه الاوطان الكرعه لابتناء هذه المكرمة الجسيمة
واقتناء هذه المأثرة العظيمة في ظل حضرة
الخديو الافخم ولي النعم الاكرم أدام
الله أيامه وبلغه كل مارامه
ماأزهى هلال
وانتهى الى غاية
كمال
آمين

(يقول الفقير على فهمي رفاعه ناظر مطبوعات المدارس)

وبعد الحمد لولية والصلاة على نبيه تم بمطبعة المدارس الملكية في أوائل ثاني الربيعين من سنة ١٣٩٣ هجرية طبع هذه الرسالة النفيسة العالية والجوهرة النفيسة الغالية التي ظفر بها الفقير من نفائس مؤلفات العلامة الامير الشهير سعادة محمد الله فكري بك وكيل ديوان عموم المكاتب الاهلية وفق الله لامثال تلك المأثرة همته العلية التي جمعت في هذه الرسالة ما أزال عن وجه الاشكال كل رين ووضح به الصبح لذي عينين وأصلح بين الفقيه والفلكي ذات البين فلذلك كان للاطراء والثناء عليها أوسع مجال بل يجب الاعتراف بأنها جامع وجازتها لا تصدر إلا عن افراد فحول الرجال أدام الله مؤلفها بوافر اجلاله وأمدنا من كمال مآثره بما تشتهيه آمين